ستديو ثقافة شعبية

سرج وركاب!

عمي .. يابياع الورد

عباءة عراقية وطفلة ..ومتاهة

مكتبة

العدد الجديد من التراث الشعبي

زياد مسعود

صدر مؤخراً العدد الفصلي الثالث من مجلة (التراث الشعبي) حافلا بالموضوعات الفولكلورية الجادة وقد تضمن محورين في الثقافة الشفوية محوراً اجنبياً وآخر وعربياً اضافة الى ابوابه الفنية في الثقافة المادية والشخصيات التراثية وفي العادات والتقاليد ومن تراث الشعوب حيث حوى المحور الاساس على بحوث (تكييف الادب الاحترافي والشعبي وتفاعلهما) لفلموس فويفت ترجمة وسن الدليمي و (لمحه من الفولكلور القفقاسي) ترجمة د.جليل كمال الدين و(اسطورة صائد الجرذان) ترجمة طارق حيدر العاني و (التراث الشعبي في كتاب العين) للدكتور داود سلوم و (من جذور الامثال العامية العراقية) للدكتور محمد حسين الاعرجي و(مفردات من اللغة البصرية في بخلاء الجاحظ) لعبد الاله عبد الرزاق و (قاموس اللهجة العامية البصرية)، وهو بحث مشترك لاحمد وبثينة عبد الرزاق الحلفي و (استعادة الذاكرة المطموسة) لعلي مزاحم عباس اضافة لموضوعات اخرى منها معجم المعتقدات والخرافات الاوروبية الذي يترجمه تباعا رمضان مهلهل سدخان وغير ذلك من الموضوعات المفيدة للاساتذة مثري العاني ومعتز غزوان وعبد الجبار السامرائي وبديع الخاقاني وسالم الالوسي وغيرهم، نتمنى لمجلتنا العتيدة دوام التألق والازدهار.

امثال عراقية

فرد إيد ماتصفك

للعلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

الفرد لغة نصف الزوج ومن لانظير له وجمع الاول فراد والثاني افراد وفرادى والعامة تارة تقول (فرد) واخرى (فد) وتستعمل هذه الكلمة اذا اردت عدم تعيين مدخولها وتنكيره فيقال (فرد رجل) او (فد رجل) والمراد رجل ما، والظاهر ان استعمال هذه الكلمة في امثال هذا التركيب بهذا المعنى ماخوذ من التركية فانه كثيراً مايقال (بركون) (بر آدم) والمراد يوم ما ورجل ما و (بر) معناها فرد وواحد ومن يحفظ التركية يعلم ان نظائر هذا التركيب كثيرة فيها وسنطلق عليها بعد هذا لفظ (اداة التنكير) فانه لم يقصد بها الا التنكير كما هو ظاهر وقد تستعملها العامة للمبالغة في مدح مدخولها او ذمه، والغالب استعمال (فد) في هذا المقام كما ان الغالب في الاول استعمال (فرد) وحينئذ تكون (فد) تصحيف فذ بالذال المعجمة واهل العراق لا يميزون بين الدال المهملة والمعجمة او لا يكادون يفرقون بينهما وتكون القرينة حينئذ لتعيين ارادة هذا المعنى حركة خصوصية في يد المتكلم وفي عضلات وجهه وكثيراً ماتعين العامة المعنى المراد من الجمل المحتملة لوجوده شتى بحركات الايدي وتغيير السحن وهي اذا استعملتها بهذا المعنى فالغالب ان تلحقها بوصف يدل على ذلك فيقول: (فد رجل عظيم) وفي هذا المثال يقال تارة: (فديد الخ) واخرى (فرد يد الخ) واحياناً (فدايد) او (فد يد) وانما بسطت الكلام في هذه الكلمة لشيوع استعمالها.

كيف تقوله العامة

فرد: بفتح الفاء وسكون الراء والدال، يد:بكسر الياء وسكون الدال. تصفك: التآء ساكنة والصاد مفتوحة والفاء مشددة.

والكاف (المثلثة الفارسية) ساكنة، وقد يقال: متصفك بفتح الميم وسكون التاء وحذف الف ما.

يضرب لعدم القدرة على العمل لفقدان اسبابه ولقلة المساعدين على ابرازه الى عالم التحقيق.

من المحرر

الخارطة الفولكلورية العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

قد نكون قبل هذا المقال قد طرحنا فكرة الخارطة الفولكلورية العراقية في هذه الصفحة ولكننا –في حينه- وضعناها في سياق موضوع عام يتعلق بضرورة الاهتمام بشكل جاد من قبل الدولة والمجتمع بالتراث الشعبي العراقي عبر طرح امثلة تتعلق بموسوعة التراث الشعبي والخارطة والقرية الفولكلورية العراقية ومعاهد الدرس الخاصة بالثقافة الشعبية وما الى ذلك.

واليوم اذ ندعو الى العمل على انتاج الخارطة الفولكلورية العراقية بشكل منهجي ومدروس وبمقاييس علمية لا اثر للهوى المسبق فيها نقف عند الذخيرة الفولكلورية العراقية المدهشة بضخامتها وتنوعها وفرادتها وامتداداتها في كل قرية ومدينة وجبل ونهر وريف ومستوطن، ونجد ان هذه الذخيرة التي لم تعرف (بتشديد الراء) كاملة حتى اليوم وبشكل كامل تقف على مصادر عمل غنية نجدها متوافرة في كل ارض العراق، لدى قبائله ومدنه واهواره وانهاره وصحاريه، ونجد كذلك ان محاولات اولى قد بذلت من قبل رسامي خرائط التكنوقراط المميزين في رسم الخرائط امثال المرحوم محمد احمد المهنا قد رسموا الخرائط العراق الادارية والسياسية والطبيعية وتعرضوا لبعض مظاهر خارطته الفولكلورية من صناعات شعبية واقتصاديات وعشائر دون ان يتوغلوا في عمق وتفاصيل هذه الخارطة لانها ببساطة لم تكن تعنيهم ولم يكن ذلك موضوعهم الاساس.

ان رسم الخارطة الفولكلورية العراقية عمل لايتعلق بحذق فني وهندسي يقف عند خارطة العراق التقليدية فقط بل هو قراءة جديدة للخارطة من وجهة فولكلورية تتعلق بثبيت اصناف التراث الشعبي الموجودة في المدن والقرى والارياف والجبال والصحاري العادات والتقاليد: ودورة الحياة والازياء والصناعات الشعبية والمواد الموسيقية والعمارة وكل ما يتعلق بالفولكلور العراقي، وذلك يتطلب رسم خرائط متعددة لا خارطة واحدة تشكل بمجموعها الخارطة الفولكلورية للعراق المدهش في تنوع مواده وثرائها.

ان ذلك يتطلب من الجهات المعنية في وزارة الثقافة ووزارة الدولة للسياحة والاثار ان تكونا على قدر هذه المهمة التي علينا ان نبدأ بالعمل من اجلها، وان تستعين هاتان الوزارتان بذوي الخبرة في العمل وان يترافق مع ذلك مساعدة وزارات اخرى معنية مثل الداخلية وشؤون المحافظات وسواهما لكي يتعاون الجميع من اجل تحقيق هذه الامنية العلمية ولابأس ان تستعين هذه الجهات بتجارب اليونسكو في هذا المجال لتحقيق هذا الهدف الذي يتطلع الى تحقيقه كل مثقف عراقي معني بالتراث الشعبي ذلك انه هدف نسعى الى تجسيده ليس من باب الترف الفكري او الاكاديمي بل لانتاج مسألة حيوية تتعلق بذلك الصرح العظيم الذي نعيش فيه ونحبه ونسعى الى ان يكون خيراً دائماً... ذلك هو العراق، ولاشيء غير العراق.

حكاية حياة صائغ شعبي .. صالح عايش

تطورت حرفة صناعة الحلي الذهبية والفضية ، أي الصياغة في بلاد الرافدين عبر آلاف السنين ، وابتكر العراقيون القدماء الكثير من الإبتكارات في الكيمياء وعلم المواد قبل إعادة اكتشافها في أوروبا بقرون عديدة. فعلى سبيل المثال عثر المنقبون على أوان نحاسية سومرية تعود إلى حوالي ٢٥٠٠ ق.م. مطلية بالفضة بطريقة تماثل طريقة الطلاء الألكتروليتي بالخلية الكَهربائية. وعثروا في العام ١٩٣٦ على أوان خزفية يسميها العراقيون اليوم بستوكة ، تعود للعصر الفرثي (٢٤٨ ق.م. - ٢٢٤ م) بالقرب من بغداد ، فيها اسطوانَة نحاسية في وسطها قضيب من الحديد عزل باستعمال القار، وحسب فلهلم كونيغ مدير المتحف العراقي في بغداد آنئذ ، يمكن لهذه الأواني توليد تيار كهربائي باستعمال سائل ألكتروليتي مثل الخل المصنوع من التمر، واشتهرت هذه اللقى باسم بطارية بغداد. لكن ما هو الغرض من انتاج الكهرباء قبل آلاف السنين؟ لم يعط علماء الآثار جواباً شافياً على ذلك ، لكنهم يعتقدون بأنها لربما استعملت في طلاء المعادن أو للعلاج.

ثائر صالح

غير أن الصاغة المنداليين عرفوا قبل قرون عديدة خلية كهربائية استعملوها في عملية طلاء المعادن الرخيصة كالنحاس بالمعادن الثمينة (الفضة أوالذهب)، وهي تقنية عرفتها أوروبا لاحقاً في القرن التاسع عشر بعد اكتشاف التيار الكهربائي في ١٧٩٩ على يد الإيطالي ألساندرو فولتا. وكان الصائغ صالح عايش (١٨٨٠-١٩٥٢)، أحد الصاغة المنداليين المعروفين يستعمل هذه التقنية التي قال أنه أخذها عن أبيه عايش الذي أخذها عن أبيه عوض بن فيض الله الصابري.

وكان جده عوض يعيش في الأهواز، غير أنه تركها وعبر شط العرب سباحة إلى البصرة هرباً من وباء الطاعون الذي حصد كل أولاده وعائلته، واستقر عوض في أبي الخصيب قرب البصرة حيث تزوج وأنجب ثلاثة أطفال هم عايش وعايشة وسيف، بعد أن تقدم به العمر كما يقال.

ويحكى أن عايش وأخاه سيف أخذا يعملان في البصرة، فشكاهما صائغ أرمني كان يهيمن على السوق هناك إلى الوالي العثماني على البصرة بحجة أنهما يفسدان الصنعة، فتناظروا أمام الوالي الذي أمرهم بإثبات قدراتهم في الصياغة. فما كان من عايش إلا وأمسك بصينية من الفضة جلبها معه، وخط فيها بقلم النقش وبدون استعمال فرجال دائرة تامة، ولم يرفع يده إلا بعد أن أكمل الدائرة وترك في الصينية "القلاعة"، وهو خيط الفضة الذي تكون بالحفر ومن دون أن ينقطع. فسلم الأرمني بالهزيمة ونقل أعماله إلى بغداد.

وكان صالح يقوم بعملية الصياغة من ألفها إلى يائها، وكان يصنع القوالب بنفسه ويخلط السبيكة ويصهرها ويصبها في القالب قبل أن يقوم بصياغتها ونقشها وتطعيمها بالمينا وإجراء العمليات النهائية. كذلك كان يقوم بالطرق والسحب والتجميع، وهي مراحل مهمة في عملية الصياغة وغالباً ما كان ينجزها صاغة متخصصون بهذه الأعمال التي تسبق العملية الختامية. وكان يستعمل في عمله مواد لحام خاصة يقوم بتهيئتها بنفسه، ومن المعروف أن تصنيع واستخدام مواد اللحام هو علم مهم من العلوم الصناعية. والسبائك لا تتقبل أي مادة لحام بشكل اعتباطي، واختيار مادة اللحام الملائمة عملية معقدة ومهمة فقد يتسبب أدنى خطأ في فشل لحام القطع أو تشويه منظر الحلية. وكان يجمع بين العلم والفن، الصنعة المتقنة والقدرة الفنية الراقية، إذ كان ينقش على المعدن أي تخطيط يوضع أمامه بمنتهى الدقة والجمال (وقد اشتهر حسني زهرون ملا خضر بنقش الصور الشخصية على الفضة وطلائها بالمينا لتصبح كالصورة الفوتوغرافية). وتخصص صالح كذلك في صناعة الصواني، وكانت له عدة خاصة يعمل بها. ويقال أنه كان يصلح الصواني التي يصيبها العوج بضربة واحدة أو ضربتين من مطرقة خشبية خاصة يستعملها لهذا الغرض، وبالمجان.

رفض صالح عايش الإنخراط في الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى، وعبر شط العرب إلى عبدان (وقد احتل رضا خان بهلوي الأهواز لاحقاً واعتقل أميرها الشيخ خزعل الكعبي بمكيدة وقتله فيما بعد في طهران) وعمل بالصياغة

هناك، وتتلمذ على يديه بعض الصاغة من منداليي الأهواز، كما أمضى سنوات أخرى في العمل هناك لاحقاً. وحكى لي ابنه الصيدلي مهدي العايش أنه زار عبدان مع صديق له في ستينيات القرن الماضي، وجالا في سوق الصياغ وتوقفا عند أحد الدكاكين. وعندما رأى الصائغ أنه يفهم في أمور الصياغة سأله من أين أنت. وبعد الجواب صاح الصائغ أنت ابن استاذي، لابد من أن تتغدوا اليوم عندي، فاعتذروا. بدأ صالح بعد انتهاء الحرب وعودته يبيع مصوغاته إلى القوات البريطانية وأخذ يكثر من السفر إلى المدن التي أصبحت مقراً لتلك القوات مثل البصرة.

اختارت الحكومة العراقية صالح عايش سوية مع ستة صاغة منداليين آخرين هم عباس عمارة (وهو أبو الشاعرة لميعة عباس عمارة) وأسمر زهرون وجاني سهر (أبو الشهيد سميع جاني أحد قادة الحركة العمالية العراقية وقد أغتاله البعثيون في انقلاب شباط ١٩٦٣) ونوري خنجر وسبع فياض وشوكت غالب لتمثيل العراق في معرض نيويورك العالمي التخصصي في ١٩٣٩ قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وسافر الجميع إلى إيطاليا المحطة الأولى حيث طلبوا سمة الدخول للولايات المتحدة الأمريكية في السفارة هناك، غير أن طلبات أربعة

منهم رفضت، فلم يصل الولايات المتحدة من السبعة سوى عباس عمارة وسبع فياض ونوري خنجر. بقي أسمر زهرون وشوكت غالب في إيطاليا (وتوفي غالب فيها قبل سنتين عن عمر مديد)، وسرعان ما زج بأسمر في المعتقلات بعد اندلاع الحرب، وقد نجا من الموت بإعجوبة بعد أن أثبت أنه ليس يهودياً ومع ذلك لم يتحرر من المعتقل إلا بعد احتلال إيطاليا من قبل الحلفاء. وحكى لي أسمر زهرون (١٩١٣-١٩٩٩) ذات مرة أنه كان يستعمل أسم برونو هناك (وهو ما يقابل أسمر باللغة الإيطالية). درس أسمر الفنون والنحت في فرنسا وإيطاليا وعمل وجال في أوروبا قبل أن يعود إلى العراق في بداية السبعينيات ليتعين مديراً في وزارة الثقافة والإعلام وينشئ قسماً جديداً لتدريس فنون الصياغة والنقش على المعادن الثمينة. أما صالح فأبحر إلى بيروت حيث عمل فيها لفترة، ثم إلى دمشق فأمضى فيها سنتين للعمل في الصياغة قبل أن يعود إلى العراق.

وكان صالح يجيد إلى جانب العربية والمنداية الآرامية اللغات الإنكليزية والفارسية وتعلم بعض البولونية من الجنود البولونيين في السوق.

وتتوارث العائلة مخطوطة دينية هي "نياني" (أي الأغاني، وفيها نصوص الطقوس الدينية الأساسية مثل الرشاما أي الوضوء والبراخا أي الصلاة) كتبها عايش أبو صالح في ١٢٩٩ هجرية (١٨٧٩ م)، وكتب فيها عايش وابنه صالح بخطيهما الجميلين عن أحوال العائلة وبعض الوصفات الطبية والمعلومات المهمة باللغة العامية العراقية. نجد فيها "وأنا يا عايش جيت لأبي الخصيب وكتبت عليها ونعلا "ولعنة" على من يسرقها وما يباريها ويقرا بيها ويترحم لمن كتبها آمين ثم آمين يا رب العالمين والسلام خير ختام".

وبقيت لنا مفكرة من عام ١٩٢٩، كتب فيها صالح أحداث ذلك العام وبعض أحداث العامين التاليين، وقد كتبها بخط جميل وواضح يحسد عليه وباللغة العامية (إذ لم يدرس العربية). وتشير سطورها إلى صعوبة المعيشة وإلى علاقاته بأقاربه وعائلته وبأصدقائه الذين يعمل معهم، وكذلك أرخ بعض الأحداث، فيذكر مثلاً خلال وجوده في بغداد: "هذا اليوم طاحت طيارة على جسر مود ومات بيها واحد هولندي". وهو جسر الأحرار اليوم وكان يسمى باسم مود القائد البريطاني الذي احتل العراق في الحرب العالمية الأولى.

أتقن صالح استعمال المينا السوداء (المحرك) التي قال أن جده عوض قد جلب أسرارها معه من الأهواز، وقد أشار الناقد والفنان موسى الخميسي في مقالة له عن الفنان أسمر زهرون منشورة على موقع اتحاد الجمعيات المنداية على الإنترنت، "أن ملا خضر جد أسمر هو الذي جلب أسرار صناعة المينا السوداء من مدينة وان في أرمينيا... اما المينا الملونة فقد ادخلها اب الفنان اسمر المرحوم هرمز الملا خضر بعد ان جلبها مع الفرن الحراري من فرنسا بمساعدة صديقه الاب انستاس الكرملي في عشرينيات القرن الماضي". والمينا السوداء هي خليط فيه قليل من الفضة وكمية معتدلة من النحاس والرصاص وكثير من الكبريت بنسب خاصة، يصهر فوق الفضة المنقوشة ثم تصقل الحلية بعد ابترادها.

كان صالح كثير الترحال بهدف طلب الرزق الذي حصل عليه بصعوبة رغم جودة عمله، كادحاً شأنه شأن سائر الفنانين الصاغة قبل أن يزاوج بعضهم بين فن الصياغة وتجارة المصوغات منذ خمسينيات القرن العشرين بعد الخروج الجماعي لليهود من العراق، حيث كانوا يسيطرون على سوق الذهب في العراق. علي سبيل المثال سافر صالح للعمل في بغداد في ١٩٢٨، ثم عمل في كركوك من تشرين الأول ١٩٢٨ لغاية نيسان ١٩٢٩ عاد بعدها إلى بغداد، وفي تموز عاد إلى عائلته في مدينة العمارة الجنوبية ليقضي العيد الكبير معهم، ثم ذهب في آب إلى البصرة وعبر في أيلول إلى عبدان فقضى خريف ١٩٢٩ وعامي ١٩٣٠ و١٩٣١ في العمل هناك. وكان صائغاً معروفاً، صنع مثلاً أثناء إقامته القصيرة في بغداد سنة ١٩٢٩ سيفاً مفضضاً لحساب البلاط الملكي خلال أقل من ثلاثة أسابيع حسبما ورد في مفكرته، وصنع الكثير من علب السكائر أو الثقاب أو ما يسمى بـ (قوطية تتحرك)، وهي تراكيب معقدة مشغولة بطرق فنية ذكية.